

نقد

يقوّض الناقد العراقي المفاهيم الراسخة التي ربطت نشأة الرواية العربية بالاستعمار. يواصل مشروعه الذي بدأه منذ الثمانينيات بكتاب جديد يحمل عنوان «السردية العربية الحديثة» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، عائداً إلى نماذج سردية مبكرة واجهت احتجاجات ساخطة، ونظرة دونية لصنّاع الخيال

عبد الله إبراهيم السردية العربية ليست «رواية الإفرنج»

خليك صويلح

منذ الثمانينيات، كرّس عبد الله إبراهيم (1975) جهده لدراسة الظاهرة السردية العربية من موقع مغاير. وجد في هذه الظاهرة «قارة لم تُكتشف بعد» تمثل «مسار التاريخ البشري لمجمل الوقائع الكبرى للمجتمعات العربية»، لكن هذا الاهتمام بالمدونة السردية، لم يمنعه من الإشارة إلى تأخر الرواية العربية مقارنة بمثيلاتها في أميركا اللاتينية، وأوروبا، واليابان، والصين، معلّلاً هذا التأخر بغياب الحرية، وضحالة التجربة الذاتية، وقلة الإطلاع.

ينطوي مشروع إبراهيم على محاولة جدية لتقويض المفاهيم الراسخة عن تمثيلات السرد العربي التي ألحقته بخطاب المركزية الأوروبية، لجهة النشأة والأسلوب والشكل. في عمله الجديد «السردية العربية الحديثة» الذي أتى في مجلدين (المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت)، يقوم بتفكيك الأصول الأولى، وصولاً إلى الشكل السردى الجديد، أي الرواية العربية. قراءة مغايرة تنسف النظريات القديمة في السرد عبر فحص التفاعلات الثقافية في القرن الـ19 الذي شهد أفول سرديات الموروث الثقافي القديم، ويزوغ سردية جديدة تمثلها الرواية أولاً. يعترف الأكاديمي العراقي بأن إعادة تركيب سياق مختلف للحقبة الثقافية التي ربطت نشأة الرواية العربية بمقولات الخطاب الاستعماري ونتائجه، تبدو مهمة شاقة نظراً إلى رسوخ هذه المقولات في المجتمع الأدبي. ويربط انحسار السرديات القديمة بتطور أشكال التلقي والانتقال من الشفوي إلى الكتابي في عملية تراكم بطيئة، امتدت ألف عام، فيما استمر انهيار هذه السرديات قرابة قرن كامل في تفاعلات مركبة، وليست نتاج نص طبيعي أوجد تياراً مختلفاً عما هو سائد. وتالياً، فإن الخطاب الروائي العربي، لم يتطور خطياً،



بقدر خضوعه لتحوّلات متشابكة، أبعد ما تكون عن التصورات الأدبية الاستشراقية التي واكبت الحملة الفرنسية على مصر، واتخذها بعضهم عتبة للحداثة العربية.

ينبّه صاحب «موسوعة السرد العربي» إلى أخطاء وخطايا فادحة ارتكبت في تاريخ الرواية العربية، وإلحاقها بسرديات وافدة، وقوالب جاهزة، فهو يعيد تطور السرديات العربية، إلى حدّ ما، إلى انتشار التعليم والتعريب والاختلاط بثقافة الآخر، لا حصيلة وصفات سردية كولونيالية.

هكذا شهد السرد العربي، ابتداءً من القرن التاسع عشر تحوّلًا، لا قطعية عن النسق التقليدي عبر التفكك الداخلي للسردية القديمة تحت وطأة التحوّلات الثقافية والاجتماعية، وتداخل الأجناس، والتطور اللغوي بتأثير الصحافة، ويزوغ السرد العربي الحديث المتمثل في الرواية ونقدها. عيّنت بعض مجلات القرن التاسع عشر بقواعد كتابة الرواية، وهو ما نجده في كتابات سليم البستاني، وجرجي زيدان، وقسطاكي الحمصي، ورائد الرواية العربية خليل الخوري في روايته «وي. إن لست بإفرنجي»

فيما وقّع محمد حسين هيكل روايته «زينب» (1912) باسم «فلاح مصري».

حالمًا نغادر حقبة البدايات حتى تطلّ تجربة روائية تحمل شرعيتها الكاملة، وتتمثل في تجربة نجيب محفوظ المبتكرة التي «لم تشج بوجهها عن التركة السردية القديمة، ولم تتنكر لها». تتسرّب إليها «القيم الأبوية» الموجودة في المرويات السردية القديمة، رغم التفاتها إلى الأحياء الشعبية في القاهرة، باستثمارها لغة المرويات الشفوية ولغة المدونات الكتابية الفصحى. وبذلك يكون محفوظ من أوائل الروائيين العرب الذين خلّصوا الرواية من الصيغ الجاهزة عبر تطوير أساليب المرويات، وطرائق التعبير اللغوي، لتدخل بعده في مسالك متشعبة تجد تمثلاتها في تعدد المرجعيات الثقافية، وهو ما تمثّله تجارب الطيب صالح، وإبراهيم الكوني، وفؤاد التكريلي، وغسان كنفاني، وآخرين. من خلال بناء وظائف متنوعة، وضعتها في سياق آخر، أكثر حراكاً وتنوعاً في إنتاج حكاية متخلّطة وطرائق تشكلها في آن واحد، ما أفسح المجال لتفوق طرائق السرد على أهمية الحكاية، أو السرد المكثف على السرد الشفاف، وصولاً إلى اشتباك الراوي بالحكاية (أمين معلوف)، وتوظيف تقنيات السرد في الحكاية (غالب هلسا)، وتداخل المستويات السردية (مؤنس الرزاز). وستجلّي الوعي الروائي بتقنيات السرد الحديث طرداً مع انتشار شبكة التلقي، إذ أخذت الرواية العربية موقعها المتقدم، بين الأجناس الإبداعية الأخرى. وهي بذلك تربط ما انقطع من وشائج بين كنوز السرد القديم، والتخييل الحديث، في تمزج صريح على المرجعيات الرسمية المغلقة.

وهذا ما رسّخ فكرة عصر الرواية بامتياز في الوقت الذي انحسرت فيه قدرة الأنواع الأدبية الأخرى على التأثير، أو الإسهام في تمثيل التصوّرات الكبرى عن الذات والآخر.

معرض تونس اطلبوا البرنامج

تونس - نور الدين بالطيب

بدأ من 25 تشرين الأول (أكتوبر) حتى 5 تشرين الثاني (نوفمبر)، ستعيش العاصمة تونس على إيقاع «معرض تونس الدولي للكتاب» الذي تشترك فيه هذا العام 31 دولة

وتحل السينغال ضيف شرف الدورة 30. الدورة الجديدة يشارك فيها 886 ناشراً منهم 33 من لبنان و29 من سوريا و85 من مصر. وسيكون الكتاب الفرنسي حاضراً عبر مشاركات من فرنسا وكندا وبلجيكا. كما يحل ضيوف ناشرون من الصين واليابان وألمانيا وإسبانيا وإيران والأرجنتين واليونان والولايات المتحدة. لعل الأهم في المعرض هذه السنة هو برنامجها الثقافي

الذي سيعنى بأسئلة الشعر والرواية والكتاب الفني. ومن أبرز الندوات التي سيحتضنها فضاء المعرض في ضاحية الكرم القريبة من وسط العاصمة ندوة عن واقع ترجمة الأدب العربي إلى لغات العالم، وندوة ثانية عن ترجمة الشعر العربي إلى جانب لقاءات يومية مع الكتاب، وأسميات شعرية وندوة حول الرواية العربية والتحوّلات التاريخية، وندوة أخرى عن أدب السجون، وندوة ستهتم بالمتفكك كمشاهد على العصر، وفن الكاريكاتير. وسيخصّص المعرض ندوة للأدب الشعبي (المحكي).

ومن أبرز ضيوف المعرض عباس بيضون (الصورة)، ورشيد الضعيف، وخالد المعالي، وصموئيل شمعون، وأمين تاج السر، وعلي المقرري، والهادي السعدون... وسيهتم المعرض بالسوق الإفريقية من خلال ندوة عن التبادل الثقافي وإشكاليات توزيع الكتاب في أفريقيا، إلى جانب ندوة عن الأدب السينغالي ومحاضرات عن العلاقة التاريخية بين زعمي الاستقلال ليوبولد سنغور والحبيب بورقيبة. وسيخصّص البرنامج الثقافي الذي يديره الشاعر آدم فتحي جانباً من فعالياته لقضايا الكتاب في تونس إنتاجاً وتوزيعاً، وكذلك إشكاليات المطالعة إلى جانب حوارات بين الكتاب والناشرين حول «المركز الوطني للكتاب» الذي يطالب الناشرون والكتاب به منذ سنوات من دون أن يبصر النور.

معرض تونس الذي غير موعده إلى الخريف عوضاً عن الربيع، سقط منذ سنوات تحت هيمنة الكتاب الديني منذ أن صعد نجم صخر الماجري صهر الرئيس مخلوع زين العابدين بن علي. قاد الماجري الانفتاح على الإسلاميين بتخصيص اذاعة دينية وفتح معرض الكتاب لآلاف الإصدارات التي كانت ممنوعة في التسعينيات عندما شن بن علي حملة لتجفيف منابع الإسلاميين. وفي العام الماضي الذي شهد إقامة الدورة الأولى من المعرض بعد الثورة، كانت هيمنة الكتاب الديني واضحة مقابل انحسار مساحات التحديث والتطوير في بلاد خير الدين التونسي والظاهر الحداد وأبو القاسم الشابي وبورقيبة.

فلاش

■ بعد النجاح عرضها السابقة، يضرب «مترو المدينة» موعداً إضافياً مع فرقة «الراحل الكبير» عند العاشرة من مساء اليوم. تقدّم الفرقة مجموعة من المقطوعات الموسيقية والغنائية الخاصة والمستعادة، من تأليف وإعادة توزيع خالد صبيح ضمن أداء يمزج بين الطربي التقليدي والتعبيري الحديث. وتجمع أيضاً كلاً من عماد حشيشو (عود) وعبد قبيسي (بزنق) وعلي الحوت (إيقاع) وخالد (بيانو) وساندي شمعون ونعيم الأسمر (غناء منفرد وكورال). للاستعلام: 76/309363

■ بعد نجاح عروضها السابقة، يضرب «مترو المدينة» موعداً إضافياً مع فرقة «الراحل الكبير» عند العاشرة من مساء اليوم. تقدّم الفرقة مجموعة من المقطوعات الموسيقية والغنائية الخاصة والمستعادة، من تأليف وإعادة توزيع خالد صبيح ضمن أداء يمزج بين الطربي التقليدي والتعبيري الحديث. وتجمع أيضاً كلاً من عماد حشيشو (عود) وعبد قبيسي (بزنق) وعلي الحوت (إيقاع) وخالد (بيانو) وساندي شمعون ونعيم الأسمر (غناء منفرد وكورال). للاستعلام: 76/309363

76/309363

METROPOLIS

Semaine d'arte

Neuf films présentés par la chaîne culturelle européenne

20 - 28 octobre 2013

(Cinquième édition)

Séances : 20h | Billets : 6.000 LL | Information : 01 20 40 80 | www.metropoliscinema.net

Partenaire officiel: BILCHANKI | Avec le soutien de: PAYSAN | Partenaires média: ALBA, ARCADE CULTURE, الرابطة | Sponsors: HEDGEHOGI, L'ÉTOILE

INSTITUT FRANÇAIS

éléphantades présentent

CHATELAIN DU TRINITY

MUSIC HALL

DIMANCHE 27 OCTOBRE 2013

A 21h00

Billets à 75,000 LL et à 100,000 LL en vente chez... et sur place avant le concert.

Partenaires: PASTEL, ALBA, ARCADE CULTURE, ESPRIT, الرابطة, PIKASSO, L'ÉTOILE